أسماء

نشرة تستعرض سير وتراجم مضيئة متصلة بتاريخ الشيعة وأهل البيت عليهم السلام

١

المحرر:

صادق جعفر

رضوى للانتاج الثقافي

سيدات البيوت النبوية (عليهن السلام)

تسعى هذه النشرة إلى التعريف ببعض الأسماء والتراجم المضيئة المتصلة بتاريخ أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وبشيعتهم، وهذا هو العدد الأول منها، ونرجوا من العلي القدير أن تحوز النشرة على رضا الله تبارك وتعالى ورضا رسوله وآله الأطهار صلوات الله عليهم، وعلى رضا القراء الأعزاء.

في هذا العدد نتطرق إلى موجز من سيرة سيدات البيوت النبوية اللاتي شاركن الأنبياء عليهم السلام في تحمل أعباء عملهم الرسالي المقدّس وكنّ خير عونٍ وسندٍ لهم عليهم السلام.

بعث ربنا سبحانه وتعالى أنبيائه من وسط بيئات اجتماعية وأسرية وعائلية صالحة جداً بل في غاية الصلاح، بل أنك لا تجد نبياً ولا وصيّاً إلا وهو في أسرة غاية في النجابة والإيمان والرشاد، خاصة من جهة أبيه وسلالته أو من جهة أمه، ويدل عليه الآية الشريفة التي تقول ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء ٢١٩] وآيات أخرى عديدة.

وتقع على سيدات البيوت النبوية الشريفة مسئولية كبيرة تتمثل في مساندة أرباب تلك البيوت من الأنبياء والرسل والأوصياء، ومؤازرتهم ومواساتهم وتقديم ما أمكنهم من الدعم الأسري المعنوي والمادي، ولذا فإن الصالحات منهن تفضّل عليهن رب العالمين بالمدح الكبير في آياته الشريفة، بينما تعرض للمقصرات أو الضالات منهن بالذم الشديد، وضرب للأوائل مريم بنت عمران عليها صلوات الله، وللأواخر امرأتي نوح ولوط.

وهؤلاء السيدات منهن الأمهات والزوجات والأخوات والبنات، وفي عقيدتنا أن أمهات كل الأنبياء والأوصياء هن مصطفيات وصالحات حتماً (بل وحتى المرضعات كحليمة السعدية عليها السلام التي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الله تبارك وتعالى قد حرّم عليه المراضع حتى جاءته حليمة عليها السلام بتقدير من رب العالمين) وإلّا لما استحققن أن يكن وعاءً وأصلاً لمن اختارهم الله تبارك وتعالى لهداية البشر وإصلاحهم، وجعلهم معصومين ومطهرين من كل دنس، أما الزوجات والأخوات والبنات فقد يبرز منهن الصالحات أو العكس من ذلك، فمن الزوجات الصالحات زوجة نبي الله أيوب عليه السلام، ومن الأخوات الصالحات كلثم أخت موسى كليم الله، وفي الروايات إنها إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنة، ومن البنات الصالحات – كما يبدو من بعض الروايات – صفراء بنت نبي الله شعيب عليه السلام، وهي غير أختها صفيراء التي خرجت على يوشع وصي موسى عليه السلام.

فعن بعض الباحثين في أمور الكتب المقدسة[آشوري] إن لشعيب عليه السلام أربع بنات أو أكثر، ولعل اللتان كان يبعثهما لاستقاء الماء هن الأكبر من بناته، ويبدو أن التي تزوجها موسى في البداية هي كبيرة الأخوات، ولذا كان أبوها النبي يعتمد عليها في بعض أموره كالاستقاء وكذلك حين بعثها لدعوة موسى عليه السلام إليه.

وبحسب الإشارات القرآنية وبعض المرويات التاريخية إن زوجة موسى الأولى كانت ممدوحة وذات أدب وخلق عال، فالآيات الشريفة تقول ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[القصص ٢٥]، وفي التفاسير[المجلسي ٥] أنها جاءته مستحيية معرضة عن عادة النساء الخفرات وقيل غطت وجهها بِكُمِّ درعها، وكانت تُدعى صفراء (أو صافوراء)، وقد أنجبت له أولاد وتوفيت وهم صغار، وفي رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام أن صفراء بنت شعيب نزلت مع سارة وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران ليلين أمر خديجة عليها السلام في ولادتها لفاطمة الزهراء صلوات الله عليها.[المجلسي ٦]

وقد تزوج موسى عليه السلام بصفيراء (على وزن حميراء) بعد وفاة صفراء لترعى له أولاد أختها، وإن هذه الثانية صفيراء هي التي خرجت على وصيه شعيب عليه السلام، ولعل ذكر اسمها بصفراء

في بعض الروايات هو من تصحيف الناسخين والله أعلم.

وفي الروايات أن الله تبارك وتعالى اختار نساءً صالحات وجعلهن في أعلى درجات الاصطفاء، فعن الخصال(الصدوق): عن ابن عباس، قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله: أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

وفيما يلي سيرة أبرز نماذج هؤلاء السيدات الطاهرات من البيوت النبوية الشريفة.

سارة عليها السلام:

لسارة منزلة كبيرة في التراث الديني، فهي زوجة خليل الله إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، وأم إسحاق وجدة يعقوب عليهما السلام، وفي سيرتها شبه كبير من سيرة خديجة بنت خويلد صلوات الله عليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسارة أول من آمن بإبراهيم عليه السلام، وكانت من أثرى الناس فوهبت ثروتها كلها لزوجها الخليل، وساندته ولم تفارقه حتى عندما اعتزلهما كل الناس، وأيّدته في كل تحركاته وسياساته ولم تعارض له أمر، وقد أفنى صلوات الله عليه مالها الذي وهبته إياه في سبيل الله حتى وصل بهما الحال في بعض الأوقات إلى حد الاقتراض والاستدانة من أجل ضيافة الضيوف الذين يحلّون باستمرار على مائدة إبراهيم عليه السلام.

أما بعض الأخبار الواردة عن سوء خلق سارة عليها السلام – إن صحّت – فهي غالباً ما تتعلق بغيرتها من هاجر صلوات الله عليها، والغيرة شأن مركب في فطرة المرأة لا يمكنها الفكاك منه، ومع ذلك فقد يشار إلى الأمر باعتباره يسبب حرجاً أو إزعاجا لإبراهيم عليه السلام ولذلك يتم التطرّق إليه لمقام النبي ومكانته وضرورة مراعاة مشاعره في هذا الجانب أيضاً.

وفي كل الأحوال فإن سارة عليها السلام كانت محطّاً لمعجزات الله تعالى وسننه، فهي رأت الملائكة وخاطبتهن وخاطبوها واستقبلت منهم البشارة، كما ورد في الذكر الحكيم، ورُزقت بالولد بعد أن كبرت وتجاوزت حتى سن اليأس، وأبناءها وسلالاتهم هم من أعظم الأنبياء والرسل، وسُنّ بعض من أعمالها كما في بعض الروايات، وكان إبراهيم عليه السلام لا يخالفها في شيء من أمور الحق، بل ورد في بعض الروايات إن هذا كان شرطاً في زواجهما، وهي ممن يرعى أطفال المؤمنين في السماء الرابعة أو تحت العرش مع زوجها الخليل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾(هود ٧١-٧٣).

وعن قصص الأنبياء للراوندي: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة وكانت من أولاد الأنبياء، على أن لا يخالفها ولا يعصي لها أمراً فيما وافق الحق.

هاجر عليها السلام:

وهي زوجة نبي وأم نبي، وسيرتها مرتبطة بالتسليم لله تعالى وبتشريع واحدة من أهم العبادات والشعائر الدينية، وقد أكرمها الله تعالى بأن جعل بعض أعمالها سنناً مفروضة على كافة المؤمنين إلى يوم القيامة.

عن المحاسن(البرقي)، قال: أبي، عن ابن عمير، عن معاوية بن عمار، قال: سألته عن السعي، فقال: إن إبراهيم عليه السلام لما خلّف هاجر وإسماعيل بمكة، عطش إسماعيل فبكى، فخرجت حتى علت على الصفا وبالوادي أشجار، فنادت: هل بالوادي من أنيس؟

فلم يجبها أحد، فانحدرت حتى علت على المروة، فنادت: هل بالوادي من أنيس؟

آل لوط عليهم السلام:

ذُكر آل لوط عليهم السلام مرات عديدة في الآيات الشريفة، ويُلاحظ بوضوح إخراج امرأته من صفة الآل والأهل والبيت، لأنها كانت مخالفة له عليه السلام ومتعاونة مع أعدائه، ولذا فقد أصابها العذاب الذي نزل بهم.

قال تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾(الأعراف: ١١٦).

فلم تزل تفعل ذلك حتى فعلته سبع مرات، فلما كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام، فقال لها: أيتها المرأة من أنت؟

فقالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم.

قال لها: وإلى من خلّفك؟

قالت: أما إذا قلت ذلك، لقد قلت له: (يا إبراهيم إلى من تخلفني ههنا!؟)، فقال: إلى الله عز وجل أُخلّفك.

فقال لها جبرئيل عليه السلام: نِعْمَ ما خلّفك إليه، لقد وكلكم إلى كاف فارجعي إلى ولدك.

فرجعت إلى البيت وقد نبعت زمزم والماء ظاهر يجري، فجمعت حوله التراب فحبسه.

السيدة زوجة نبي الله إسماعيل عليه السلام:

يظهر من بعض الروايات أن نبي الله إسماعيل عليه السلام قد تزوج ست مرات، كانت أولاها بعد وفاة أمه هاجر عليها السلام، لكن تلك الزوجة الأولى لم تكن ملائمة لدوره النبوي فطلقها بإشارة من أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم تزوج امرأة صالحة اسمها السيدة بنت الحارث ابن مضاض، ساندته في شؤون إدارة البيت الحرام وزواره، وتزوج بعدها، أي ربما بعد وفاتها، بأربع نسوة أخريات على مدى حياته، حيث عاش عليه السلام مائة وعشرون سنة كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (المجلسي ٥)

إليا زوجة أيوب عليه السلام:

يظهر من الروايات والآيات الشريفة بشأن حال نبي الله أيوب عليه السلام أن زوجته واسمها إليا كانت ابنة نبي الله يعقوب عليه السلام، وهي امرأة في غاية الوعي والفهم والصلاح، وكانت أكبر سند لزوجها بين الناس في محنته الطويلة والصعبة.

فعن قصص الأنبياء(المجلسي ٥): بالإسناد عن الصدوق، بإسناده عن وهب بن منبه: إن أيوب كان في زمن يعقوب بن إسحاق صلوات الله عليهم، وكان صهراً له تحته ابنة يعقوب يقال لها إليا، وكان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام، وكانت أم أيوب ابنة لوط، وكان لوط جد أيوب صلوات الله عليهما أبا أمه.

ولما استحكم البلاء على أيوب من كل وجه صبرت عليه امرأته، فحسد إبليس على ملازمتها بالخدمة، وكانت بنت يعقوب، فقال لها: ألست أخت يوسف الصديق؟

قالت: بلى.

قال: فما هذا الجهد!؟ وما هذه البلية التي أراكم فيها!؟

قالت: هو الذي فعل بنا ليؤجرنا بفضله علينا، لأنه أعطاه بفضله منعماً ثم أخذه ليبتلينا، فهل رأيت منعماً أفضل منه!؟ فعلى إعطائه نشكره، وعلى ابتلائه نحمده، فقد جعل لنا الحسنيين كلتيهما، فابتلاه ليرى صبرنا، ولا نجد على الصبر قوة إلا بمعونته وتوفيقه، فله الحمد والمنّة ما أولانا وأبلانا.

فقال لها: أخطأت خطاءً عظيماً، ليس من ههنا ألح عليكم البلاء.

وأدخل عليها شبهاً، دفعتها كلها.

أم موسى، وأخته كلثم عليها السلام:

لأم موسى وأخته دور كبير في حفظه وحمايته حين كان طفلاً رضيعاً، وقد أشار القرآن الكريم إلى حسن تصرفها واتباعها للوحي الشريف في شأن موسى، وكان لالتزامها بما أوحي إليها أكبر الأثر في حفظ موسى عليه السلام وإرجاعه إلى حضن أمه وإلى البيت الوحيد المؤهل لترعرعه ونشأته.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾(طه ٣٨-٤٠).

حنّة وحنّانة عليها السلام:

آل داود عليهم السلام:

عن قصص الأنبياء: بالإسناد إلى الصدوق، بإسناده إلى زيد الشحام، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً﴾(سبأ: ١٣)، قال: كانوا ثمانين رجلاً وسبعين امرأة، ما أغبَّ المحراب رجل واحد منهم يصلي فيه، وكانوا آل داود.

حنة هي زوجة عمران النبي وهي أم مريم بنت عمران، وحنانة هي أخت حنة، وهي زوجة النبي زكريا وأم النبي يحيى عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(آل عمران ٣٥).

وعن قصص الأنبياء(المجلسي ٥): عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن عمران أكان نبياً؟

فقال عليه السلام: نعم، كان نبياً مرسلاً إلى قومه، وكانت حنّة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريا أختين، فوُلد لعمران من حنة مريم، ووُلد لزكريا من حنانة يحيى عليه السلام، وولدت مريم عيسى عليه السلام، وكان عيسى عليه السلام ابن بنت خالته، وكان يحيى عليه السلام ابن خالة مريم، وخالة الأم بمنزلة الخالة.

مريم بنت عمران عليها السلام:

مريم بنت عمران وأم عيسى المسيح صلوات الله عليهما هي أشهر من أن تُعرّف، وقد وردت فيها آيات عديدة من الذكر الحكيم، وبالخصوص في سورتي (آل عمران) و (مريم)، وقد عاشت في حياتها حالات تكشف عن مستوى عال من التقدير لها، وبعضها وصل إلى حد الإعجاز، وأهم تلك الحالات هي التالية:

١. الانتماء لبيئة دينية رفيعة الشأن:

ولدت السيدة مريم عليها السلام في بيئة أسرية رفيعة الشأن مليئة بالإيمان ومرتبطة بالوحي الإلهي، وقد عبّرت الآيات الشريفة عن ذلك بقوله تعالى ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾(آل عمران : ٣٧)، ويبدو من الآية الشريفة أنها عليها السلام كانت حسنة في كل شيء سواء في الإيمان أو السلوك أو الحسن البدني الظاهر أو حسن الارتباط بالله، وغير ذلك.

قال في الكافي(الكليني): عن عبدالأعلى مولى آل سام، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام، يقول: تؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا رب، حسّنت خُلقي حتى لقيت ما لقيت.

فَيُجاء بمريم عليها السلام، فيقال: أنت أحسن أم هذه؟ قد حسّناها فلم تُفْتَتن.

٢. الولادة التمهيدية لأمر عظيم:

كان بإمكان رب العزة والجلالة أن يجعل ولادة عيسى المسيح عليه السلام ببشارة مباشرة، لكنه عزّ وجلّ لم يفعل ذلك، فقد كانت البشارة غير مباشرة، فهو تعالى بشّر بولادة المسيح وإذ بامرأة عمران عليها السلام تلد بفتاة تبين فيما بعد أنها هي التي أصبحت أم المسيح، وهذه الفتاة رغم ترقب ولادتها لظن الجميع أنها ستكون صبيّاً، استطاعت بتقدير الله تعالى أن تفرض نفسها على القيم والأجواء والمؤسسات الدينية الكبرى آنذاك وأن تفرض حضورها ووجودها في المعبد والمحراب وأن تصبح علماً مشهوداً لها في الإيمان والورع والزهد والتقوى والإحسان، وكل ما جرى كان تمهيداً من رب العالمين لحدث جلل وعظيم هو ولادة روح الله المسيح عليه السلام.

٣. الاصطفاء الإلهي المزدوج:

اصطُفيت مريم عليها السلام مرتين، المرة الأولى عندما اختارها تعالى من ذراري الأنبياء الطاهرين فطهّرها ورفع شأنها وفتح قناة اتصال مباشرة بينها وبين الوحي السماوي فكانت تخاطب الملائكة ويخاطبونها ويأتيها رزقها من السماء وهي في محرابها المقدس، والمرة الثانية حين جعلها تعالى أماً للمسيح عليه السلام والممهدة لرسالته الكبرى، قال تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء ٩١)، فهي آية وابنها آية وهي كانت الطريق لظهور آية ابنها عليه السلام.

عن تفسير العياشي(التفسير): عن الحكم بن عيينة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(آل عمران ٤٢) اصطفاها مرتين، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة؟

(قال): فقال لي: يا حكم، إن لهذا تأويلاً وتفسيراً.

معنى أن يكون الأمر في أحدهم عليهم السلام:

عن تفسير العياشي(التفسير): عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال، سمعته يقول: أوحى الله إلى عمران: إني واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ورسولاً إلى بني إسرائيل.

فأخبر بذلك امرأته حنّة، فحملت فوضعت مريم، فقالت ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ والأنثى لا تكون رسولاً، وقال لها عمران إنه ذكر يكون نبياً، فلما رأت ذلك قالت ما قالت، فقال الله وقوله الحق ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(آل عمران ٣٦).

فقال أبو جعفر عليه السلام: فكان ذلك عيسى بن مريم عليه السلام، فإن قلنا لكم إن الأمر يكون في أحدنا فكان في ابنه وابن ابنه أو ابن ابن ابنه، فقد كان فيه، فلا تنكروا ذلك.

فقلت له: ففسره لنا، أبقاك الله.

قال عليه السلام: يعني اصطفاها أولاً من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهّرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح، واصطفاها بهذا في القرآن ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(آل عمران ٤٣) شكراً لله.

٤. اليتم:

عانت مريم عليها السلام من اليتم من الأب ثم من الأم، ولعل ذلك الاستضعاف هو أحد أسباب الوصول إلى المعبد، حيث تهافت القوم على كفالتها وتساهموا عليها باعتبارها النذر المخصص للمعبد ويتيمة نبيهم ورسولهم، كما إن نشأتها من غير أب أعطاها تجربة إنسانيه عميقة مهدت لأمومتها لمولودها الذي نشأ من غير أب أيضاً.

٥. الكفالة من قبل نبي مبعوث:

ومن عظمة شأنها وكونها من بيوت الأنبياء وذراريهم، لم يكن مؤهلاً لرعايتها وكفالتها ومتابعة شؤونها إلا نبياً من أنبياء الله العظام وهو زكريا عليه السلام، قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(آل عمران ٣٧).

٦. التفرغ الكامل للخدمة الدينية:

ومن سمو شأنها أن الله تبارك وتعالى قدّر لها التفرغ الكامل للخدمة والعبادة الدينية حيث لم يشغلها شيء في حياتها عن التوجه لله سبحانه وتعالى، سواء على المستوى الاجتماعي من خلال خدمة المعبد وزواره من المؤمنين والمستضعفين في الدين والمعيشة، أو من خلال التفرغ الشخصي لعبادة الله وتقديسه وتعظيمه، حيث قال تعالى ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾(آل عمران ٣٧).

٧. الاتصال المباشر بوحي السماء:

مريم عليها السلام وكونها وليّة الله بل من أعظم أوليائه، كانت الملائكة تتواصل معها وتحدثها وتوصل إليها الوحي مباشرة، فحين ابتدأت حياتها الدينية في المعبد خاطبتها الملائكة بقولها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وحينما اقترب موعد قدوم المسيح عليه السلام، خاطبتها بقولها: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾(آل عمران ٤٥).

٨. تطهيرها مادياً وبدنياً إلى جانب طهارتها الروحية والمعنوية:

وتطهيرها المادي ربما يتمثل في تخصيصها بالطعام السماوي لكي يُبتنى جسدها على أطهر وأنقى طعام يمكن أن يحوزه بشر، ويتضح من منطوق الآية الشريفة ﴿كُلَّمَا﴾ أن ذلك كان يحدث بصورة مستمرة، قال تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(آل عمران ٣٧).

٩. السيدة مريم عليها السلام على دراية بمنزلتها ومقامها الديني:

كانت عليها السلام على دراية بمنزلتها الدينية ولذلك فقد تحملت عبأ ذلك منذ ولادتها وطوال نشأتها في المعبد وبعد أن أصبحت أماً للمسيح عليه السلام، وآيات الاصطفاء ومخاطبة الملائكة لها تشير بوضوح إلى معرفتها عليها السلام بذلك.

١٠. السيدة مريم عليها السلام على دراية بدورها الرسالي المقبل:

كانت عليها السلام تعلم بأنها ستكون أم المبعوث الجديد، وأنها مسئولة عن التمهيد له ولرسالته العظيمة، قال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران ٤٥-٤٦).

١١. صدّيقة صدقت بكلمات الله:

لشدة ورعها وإيمانها والتزامها بأوامر الله تعالى وحسن سيرتها في الناس فقد وصفها تعالى بأنها صديقة التزمت بكل ما أمرها الله به ودعاها إليه، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾(المائدة ٧٥)،

وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(التحريم ١٢).

١٢. الحمل بلا زواج:

من مآثر مريم عليها السلام سقوط القوانين الطبيعية أمامها وحدوث الحمل لديها دون أن يمسّها بشر، أي دون زواج ونكاح كالمتعارف عليه بين الخلق، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾(مريم ٢٠).

١٣. أن بشارتها كانت على يد جبرئيل عليه السلام:

كانت بشارة مريم عليها السلام بالحمل بالمسيح قد وصلتها على يد أعظم رسول من ملائكة الله تعالى، وهو الذي ينزله على أعظم أنبيائه كرسول الله صلى الله عليه وآله وإبراهيم ونوح وموسى عليهم صلوات الله، وقد بُعث إليها في هيئة بشر سوي وبشكل مفاجئ لم تتوقعه، أرعبها ذلك لشدة عفتها وتقواها، فاستعاذت بالله منه، وقولها ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ لأن غير التقي لا تنفع معه الاستعاذة بالله فهو لن يسمع كلام الله، ولا يجعل لأمر الله قيمة إلا التقي، فطمأنها بسرعة وبيّن حقيقة حاله، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً﴾(مريم ١٧-١٩).

١٤. تحمّلت عبأ الهجرة لوحدها:

وقد تحملت عليها السلام عبأ الهجرة والابتعاد عن قومها مخافة أن يتهموها بالسوء - وقد فعلوا -، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾(مريم ٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾(المؤمنون ٥٠)، وفي الروايات الشريفة أنها طويت لها الأرض في الذهاب والإياب بين الشام وكربلاء، ووضعت حملها في كربلاء، وأن ميلاد المسيح عليه السلام كان في شهر حزيران وأن الرطب دلالة على كون الولادة في موسم الرطب - أي في الصيف - وأنه في أرض يوجد فيها النخل والرطب.

وعن تحف العقول (الحراني): قيل للإمام الصادق عليه السلام: إن النصارى يقولون إن ليلة الميلاد في أربعة وعشرين من كانون، فقال عليه السلام: كذبوا، بل في النصف من حزيران.

وأورد الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام: عن الثمالي: عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾(مريم ٢٢)، قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء، فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثم رجعت من ليلتها.

١٥. الحمل السريع:

كان حملها عليها السلام إعجازياً سريعاً وهذه كرامة أخرى لها، حيث أنه لم يبد عليها أية آثار للحمل أمام قومها، وعندما جاءتها البشارة بذلك ونفخ في جيبها الروح الأمين، ابتعدت عن قومها وهجرت أرضها، فحملت وولدت خلال تسع ساعات فقط.

أورد في الكافي (الكليني): عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن مريم حملت بعيسى عليه السلام تسع ساعات، كل ساعة شهرا.

١٦. مواجهة التهمة الفظيعة:

من أصعب الأمور على الإنسان العفيف والشريف الطاهر أن يُمس عرضه ويُتهم في شرفه وعفته، وقد كان أخوف ما تخاف منه مريم عليها الصلاة والسلام أن تتهم بأمر كهذا، ولذا فإن الموت كان أهون عليها من ذلك، وحين بشّرها جبرئيل عليه السلام بالحمل والولادة، تساءلت ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، ولم يكن تساؤلها هذا تشكيكاً في قدرة الله تعالى، فهي أجلُّ من ذلك، وإنما يبدو أنها كانت تطلب جواباً تستعين به في وجه الناس وترد به اتهاماتهم لها، فهي كانت تطلب الجواب للناس، وليس لنفسها أمام رب العالمين.

١٧. عيسى عليه السلام يطمئنها عند ولادته:

فناداها مولودها عيسى عليه السلام من تحتها (قد

أهل نبي الله أيوب عليه السلام:

ذُكر أهل نبي الله أيوب عليه السلام في الآيات الشريفة كأحد مظاهر رحمة الله له، وكانوا قد أماتهم الله سبحانه وتعالى كجزء من الابتلاءات التي وقعت عليه، ثم أرجعهم إلى الدنيا وأحياهم ليتم تعالى نعمته على نبيه عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾(الأنبياء: ٨٣-٨٤).

تشير أغلب التفسيرات إلى إن الذي ناداها هو ملك، ولكن يمكن الاستظهار من الآية الشريفة أنه مولودها المبارك عليه السلام)، فطمأنها بقدرته على الكلام والدفاع عنها فيما لو صامت هي عن الكلام، حيث إن الله جلّ وعلا أمرها بالصوم عن الكلام والاستعانة بعيسى، ومخاطبة عيسى عليه السلام لها وهو في اللحظات الأولى لولادته لعله إشعار من الله تعالى إلى أنه سيكون المتكلم نيابة عنها، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾(مريم ٢٦)، وقال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ (مريم ٢٥).

١٨. معجزة الإطعام والإسقاء دلالة أخرى: (نصر)

كما أشارت معجزة الإطعام من نخلة يابسة جدباء والإسقاء من أرض قاحلة صحراء إلى أنه تعالى سيكون قريباً منها ومصاحباً لها في محنتها، فكما أطعمها وسقاها في أرض قاحلة مجدبة، فهو أيضاً سينجيها من التهم والافتراءات حين تعود إلى قومها ومجتمعها المُتّهم لها، ولذلك قال لها: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾(مريم ٢٦).

١٩. دفاع عيسى عليه السلام عن مريم صلوات الله عليها:

لو أن مريم عليها السلام دافعت عن نفسها وحاولت بشتى السبل أن تثبت براءتها لما صدقها أحد من قومها، خصوصاً وإن الذي جرى كان شيئاً غير مألوفاً، ولذا فقد كانت بحاجة إلى آلية دفاع غير مألوفة أيضا لإثبات براءتها، ولم يكن أفضل من نطق الطفل الرضيع الذي لم يتجاوز عمره بضع ساعات، وهي ذات الآلية التي دفعت التهمة عن يوسف الصديق عليه السلام، فهو مهما فعل لم يكن بقدرته دفع اتهام زوجة العزيز له بمحاولة الاعتداء عليها، ولكنها لم تستطع دفع كلام الطفل الذي تكلم في لحظة إعجازية.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيّاً، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾(مريم ٢٧-٣٠).

وعن علل الشرائع(الصدوق): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أن عيسى عليه السلام حين خرج من بطن أمه لم ينطق بالحكمة، لم يكن لأمه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب، وكانوا يأخذونها كما يأخذون به من المحصنات، فجعل الله عز وجل منطقه عذراً لأمه.

٢٠. التبشير بشريعة جديدة تنسخ الشريعة القديمة القائمة:

وهنا كان أمام مريم دور من أصعب الأدوار في حياة أي إنسان، ألا وهو أنها بولادتها لعيسى المسيح عليه السلام أبلغت كل بني إسرائيل بانتهاء وقت شريعتهم التي هم عليها وهي شريعة موسى عليه السلام، وإن عليهم من الآن التهيّؤ لاستقبال شريعة ناسخة لها وهي شريعة عيسى صلوات الله عليه، ولم يكن أحد من اليهود وأحبارهم مستعد للإذعان بذلك، وكانوا لقساوة قلوبهم مستعدون لقتل ومواجهة كل من يشير ويدعو إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾(مريم ٢٩-٣٣).

خاتمة:

إن إحدى أهم العبر المستقاة من هذا الوضع الأسري هو أن الأسر الصالحة هي وعاء صالح للقيادة الصالحة، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾(الفرقان ٧٤).

مصادر:

١. آشوري، إيزابيل بنيامين ماما: راجع كتابات الباحثة اللاهوتية ماما آشوري على موقع (**كتابات في الميزان**)، وكذلك صفحتها على الفيس بوك.
٢. البرقي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد. **المحاسن**، الطبعة الثالثة، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، (تحقيق: الرجائي، السيد مهدي)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة.
٣. الحراني، الحسن بن علي بن شعبة. **تحف العقول عن آل الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم، الطبعة السابعة، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، (تعليق: الأعلمي، الشيخ حسين)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٤. العياشي، أبي النضر محمد بن مسعود. **التفسير**، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ)، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية)، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.
٥. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه. **الخصال**، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، دار المرتضى، بيروت.
٦. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه. **علل الشرائع**، الطبعة الثانية، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٧. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه**، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ)، (تصحيح: الغفاري، علي أكبر)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٨. الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب. **الكافي**، الطبعة الأولى، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، دار المرتضى، بيروت.
٩. المجلسي، الشيخ محمد باقر. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – كتاب قصص الأنبياء** عليهم السلام **(المجلد ٥)**، (١٤٢٧هـ)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة.
١٠. المجلسي، الشيخ محمد باقر. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – كتاب تاريخ نبينا وأحواله** صلى الله عليه وآله وسلم **(المجلد ١, ٦ و ٢, ٦)**، (١٤٢٧هـ)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة.
١١. نصر، د. جعفر نجم. **فصول في سوسيولوجيا الدين: كاريزما النبوة عند ماكس فيبر – السيد المسيح وأتباعه إنموذجاً**، الطبعة الأولى (٢٠١٦م)، الرافدين، بيروت.

أسماء

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
asmaaletterhead@gmail.com

توضيح:
محتوى **أسماء** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي